

الأستاذة: بوشلاغم حنان

## المحاضرة: مقارنة ابن خلدون للحراك الاجتماعي والمهني

أولاً: نبذة تاريخية عن حياة ابن خلدون

هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون الحضرمي، ولد في تونس 732 هـ، اشتغل بالوظائف العامة والسياسية فكان كاتباً وأستاذاً وقاضياً للقضاة وحاجباً ورئيساً للوزراء، تواجد في دواوين الكثير من الملوك والأمراء في تونس والمغرب والأندلس ومصر والشام، كان قاضي القضاة المالكية في مصر، وتوفي بمصر سنة 808 هـ.

يعد ابن خلدون أول مؤسس لعلم جديد هو علم العمران أو الاجتماع الإنساني، المؤسس الأول لعلم الاجتماع وقد سبق أوجست كونت الذي يعده الغرب أول مؤسس لعلم الاجتماع في الغرب وذلك بحوالي 5 قرون، له كتاب بعنوان: "المبتدأ والخبر في العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".<sup>1</sup>

ثانياً: المسلمة الأساسية التي إنطلق منها ابن خلدون

هذا ويعد من أهم المفكرين الذين درسوا الحراك الاجتماعي وانطلاق من مسلمة أساسية مفادها أن الاجتماعي الإنساني ضروري ويعبر على ذلك بقوله أن الإنسان مدي بطبعه، ويرى أن من أهم الخصائص التي تميز الاجتماع الإنساني ما يلي:

- المجتمعات لا تتجمد إلى حال من الأحوال بل تختلف أوضاعها باختلاف الأمم والشعوب وباختلاف الزمان أيضاً داخل المجتمع الواحد.

- أحوال العامل والأمم وعوائدها لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هي اختلاف على مر الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال.<sup>2</sup>

ثالثاً: الحراك الاجتماعي عند ابن خلدون

ومن ثم اعتمد على علاقة جدلية بين البدو والحضر والتي تقوم عليها نظرية العمران بأسرها وهي التي جعلته يفكر ملياً في كيفية اكتساب الأشخاص أو الطوائف للثروة والمال والجاه التي تعتبر مؤشرات هامة للحراك المهني والاجتماعي بالخصوص فحراك الأجيال لا يتم إلا طبقاً لنمط حياتهم ومعيشتهم ، ويؤسس ابن خلدون هذا

<sup>1</sup> عبد المحسن بن أحمد العصيمي: مختصر مقدمة ابن خلدون، ط2، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2013، ص 10.

<sup>2</sup> عبد العزيز رأس مال: مرجع سبق ذكره، 1999، ص 19.

## الأستاذة: بوشلاغم حنان

الاختلاف على المناطق الجغرافية وما تتحلى به الأرض من جذب وخصوبة ، وبهذا تختلف حياة الناس وكسبهم ،وهنا يبدأ الاختلاف بين البدو والحضر الذي يفسره طبع زاد عن القوت ، فالكمال يشكل حراكا قويا بالنسبة للأشخاص الذين تعودوا على الضروري من العيش والانتقال من البداوة إلى الحضارة ، إن هذا الانتقال الفجائي والانقلاب اللاتدرجي في حياة هؤلاء من شغف العيش إلى قمة التمدن والحضارة وبرز التناقض بين حياة هؤلاء في البدو وحياتهم في حالة الحضارة والنتائج المترتبة عن التناقض ويقول: " أن النسيان المقصود للبداوة مع وجودهم ينبع من حضارة أوروبا الصناعية التي فرضت هذه الازدواجية الجديدة" إذن حسب تصور ابن خلدون يحتاج البدو إلى المدن نظرا لتطوير تقسيم العمل فيها وكرثة المهن واختلافها، إن أهمية الثروة تبدو في علاقتها بالملك والدولة فهو يشير إلى السمة الرئيسية في الحراك الاجتماعي والمهني وهذا ما مل يسبق له بقوله إن ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون هي وسط الدولة وهذه الثروة تتجه اتجاهها الخنائي مما يصيب الدولة بالاضمحلال فإن الثروة تقل لكثرة توزيعها على الموالين والأنصار لبروز الثورات والانتفاضات نتيجة لعدم المساواة في الحظوظ الاجتماعية وللظلم والقهر.<sup>1</sup>

### رابعا: أشكال الحراك الاجتماعي والمهني عند ابن خلدون

1-الثبات الاجتماعي: كان ابن خلدون حذرا في تعميم مقولة الحراك الاجتماعي والمهني على كل الفئات الاجتماعية بل رأى النقيض تماما لبعض الفئات، أي أنه طرح مقولة الثبات الاجتماعي فهو يؤكد أن القائم بأمر الدين تعظم ثروتهم في الغالب وذلك للاحتياج المؤقت لبضاعتهم الفكرية وكذا لأنهم لا يخضعون لمؤشر الجاه الذي ذكر في السابق كعامل من عوامل الحراك.

2-الحراك التنازلي: يذهب عبد الرحمان ابن خلدون في مقارنته إلى أن المجتمع الإنساني شبيه بالكائن البشري، يمر بمجموعة من المراحل منذ والدته وصولا إلى وفاته واعتبر الدول كالأشخاص لها أعمار سواء بسواء وعمر الدولة في العادة ثلاثة أجيال والجيل أربعون سنة وعمر الدول حسابيا مائة وعشرون سنة وخلال هذه الأجيال يمر المجتمع بمراحل التالية:

- مرحلة النشأة والتكوين: وتتميز بالبداوة ويقتصر فيها الأفراد على الضروري من أحوالهم المعيشية وتتميز هذه المرحلة بخشونة الحياة وتوحش الأفراد وبسالتهم كما تتميز بسيطرة العصبية على العالقات الاجتماعية .

<sup>1</sup> عبد العزيز رأس مال: مرجع سبق ذكره، ص 19، 20.

## الأستاذة: بوشلاغم حنان

- **مرحلة النضج والاكتمال:** وهي مرحلة الملك وخلالها يتحول المجتمع من البداوة إلى الحضارة ومن العوز إلى الثراء والخصب ومن الاشتراك في المجد والقوة إلى التفرد وفيها تنتقل السلطة إلى يد شخص أو عصابة أو عائلة أو أمة واحدة بعد إن كانت مشتركة وعامة وشائعة .

-**مرحلة الشيخوخة والهرم:** وتتميز بالدعة والترف وقمة الحضارة وفيها يتجاوز الأفراد البداوة والخشونة نهائيا وتنزل العصبية ويبلغ الترف قمته وينسى الأفراد الحماية والمجابهة ويؤدي الفرط في البذخ إلى زوال الدولة تسبقه حالة من الضعف والاستكانة.<sup>1</sup>

ويظهر الحراك التنازلي هرمية الدولة (شيخوخة الدولة) وأشار إلى بعض المؤثرات الاقتصادية التي بشكل أو بآخر تؤدي إلى تقهقر بعض الفئات من الرخص في الأسعار الذي يؤثر على فئات اجتماعية معينة بل يسبب حراكا تنازليا لها فهو يؤثر على التجار فساد سلعهم وفساد رؤوس أموالهم وكذلك يؤثر على الفلاحين بيوار أنواع الزرع من فلاحه وزراعة وذلك لقله أرباح فيها فلا تكثرت رؤوس أموالهم بل ينفقون عليها بل يؤثر على الجند لأن أرزاقهم تأتي من الدولة وحين ترخص أسعار الزرع تقل الجباية منه لفساد الحالة الاجتماعية للمحترفين به.

3- **الحراك التصاعدي:** تناول ابن خلدون الحراك التصاعدي في العلاقة بين البدو والحضر وهذا ما يبدي أن هناك علاقة الحراك والهجرة الداخلية أي العلاقة بين صعود فئات ونزولها في السلم الاجتماعي وتلك الهجرة التي تحدث بين الريف والمدن. هذا ولاحظ ابن خلدون عند الانتقال من البدو إلى الحضر، فالكماليات العيش تشكل حراكا قويا بالنسبة للأشخاص الذين تعودوا على الضروريات وهو الانتقال من البداوة إلى الحضارة، حيث تنتقل حياة هؤلاء من بؤس العيش إلى قمة التمدن مما يخلق تناقض في نمط حياتهم.<sup>2</sup>

هذا ومن شروط الحراك الاجتماعي عنده هو "عامل الثروة" وهي ثرة السلطان التي أصلها الجبايات والضرائب المأخوذة من البدو هذا ولا يعتبر الثروة إلا إذا كانت تأتي بالعمل والجهد الشخصي وإلا لن يطلق على ذلك مصطلح الحرا، هذا ولا يتم الحراك إلا طبقا لنمط حياة الأفراد ومعيشتهم وبؤس هذا الاختلاف على المناطق

<sup>1</sup> محمد الهادي عفيفي: التربية والتغير الاجتماعي، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1975، ص 71.

<sup>2</sup> رأس مال عبد العزيز: مرجع سبق ذكره، ص 23 24.

## الأستاذة: بوشلاغم حنان

الجغرافية، إذ تتأثر معيشة الأفراد حسب طبيعة الأرض فتختلف طرائق حياتهم وكسبه، فالحرك الاجتماعي حسب ابن خلدون يعود إلى طبيعة كل من الحضرة والبدو وليس على أساس الصراع. ختاماً يمكن القول بأن مقارنة ابن خلدون في الحرك الاجتماعي تقوم على مقولة الانسان مدني بطبعه، وتفسيره للحرك قائم على جدلية البدو والحضر، ومؤشر الثروة هو شرط أساسي لحدوث الحرك وهذا المؤشر لم يناوله حتى المنظرون المختصون في الحرك السوسيو-مهني.